مجلة العاصمة

مجلة بحثية سنوية محكّمة

المجلد التاسع، ٢٠١٧ م

معامل التأثير العربي: 2.0

ISSN (Print) : 2277-9914 **e-ISSN (Online) : 2321-2756**

قسم اللغة العربية، كلية الجامعة
ترونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

نظرية الحجاج في اللغة في الدراسات العربية المعاصرة :
الاستيعاب والممارسة

عمر بوقمرة

أستاذ محاضر (أ)، حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تسليط البحث على نظرية الحجاج في اللغة في الدرس العربي الحديث من حيث الاستيعاب والممارسة، وأثرهما الإيجابي في تنمية وتطوير الدرس اللغوي العربي الحديث، وهي في الأصل نظرية غربية حديثة المنشأ، انتقلت إلى حقل الدراسات اللغوية العربية الحديثة بُحثت من ثلاثة جوانب، وهي: الجانب البلاغي مع بيرلمان، والجانب المنطقي مع تولمين، والجانب اللساني مع أوزوالد ديكرو، والذي يهمنا هو الجانب اللساني لجِدَتِه وتعلقه باللغة عموما والبلاغة خصوصا؛ وعليه فبحثنا يتناول "نظرية الحجاج في اللغة" للألسني الفرنسي ديكرو؛ الصادرة عن مبدإ تداولي عام دعا إليه، يرى فيه أن البعد الحجاجي سابق عن البعد الإخباري في الكلام؛ فكل كلام حسب هذه النظرية هو حجاجي بالقوة، قبل أن يقوم بدوره الإخباري الإعلامي، فالسمة الحجاجية منغرسة في اللغة أصالة؛ ومن هنا لم تعد الوظيفة الإخبارية -حسب هذه النظرية- وظيفة أساسية للغة؛ بل تدحرجت إلى مرتبة ثانوية مفسحة الصدارة للوظيفة الحجاجية.

١- **نظرية الحجاج في اللغة**: نظرية الحجاج اللغوي هي نظرية لسانية حديثة للألسني الفرنسي أوزوالد ديكرو (O. Ducrot)، وأدعو القارئ هنا للتركيز معي على الصفة "اللغوي" فهي هنا قيد مانع من الاختلاط ببقية المقاربات الحجاجية، التي ليست لغوية، كالحجاج البلاغي، والحجاج المنطقي، وما يعنينا في هذا المقام المقاربة اللغوية (اللسانية)؛ التي تناولت الحجاج من وجهة نظر قولية، إذ بحثت عن الوظيفة الحجاجية للعبارة اللسانية([١]). انبثقت نظرية الحجاج في للغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية لكل من أوستين، وسيرل، وهي نظرية تقدم تصورا للمعني من حيث طبيعته ومجاله، وهي تندرج ضمن تيار حديث في اللسانيات، ظهرت على يد الألسني الفرنسي "أوزوالد ديكرو "(O. Ducrot)، - بعد إضافته فعلين لغويين هما: الاقتضاء، والحجاج-، في كتابه "الحجاج في اللغة" (L'argumentation Dans La langue) عام ١٩٨٣م، الذي ألفه بمشاركة زميله جون كلود أنسكومبر (Jean Cloud Anscombre)، مفادها أن اللغة تحمل في جوهرها بعدا حجاجيا، ومن ثَمَّ فهي لا ترى بأن الوظيفة الإبلاغية هي الوظيفة الأساس والوحيدة للغة، بل إن الوظيفة الحجاجية هي أهم وظائفها([٢]). ومن الأخير (فعل الحجاج) انبثقت نظرية الحجاج في اللغة؛ وبناء عليه "فما الفعل الحجاجي إلا نوع من الأفعال الإنجازية التي يحققها الفعل التلفظي في بعده الغرضي"([٣]).

فقد أثبت أوستن نوعا آخر من الجمل، وهي الإنشائية (الأدائية) إلى جانب الوصفية؛ ليتراجع لاحقا مؤكدا أنه إذا أنعمنا النظر ألفينا كل عبارة تامة تتضمن على الأقل فعلا لغويا واحدا من بين ثلاثة أضرب من الأعمال

---

[١] ينظر : مُحَمَّد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م، ص٩٤.

[٢] أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج، ط١، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، ص١٥.

[٣] آليات الحجاج والتواصل في ضوء النظرية التداولية: رتيبة مُحَمَّدة بولدواني، مجلة مقاربات، العدد ١٢، المغرب ،المجلد ٦، ٢٠١٣م، ٢٧.

اللغوية، أولها: العمل القولي، ويتحقق بمجرد التلفظ بشيء ما، وثانيها: العمل المتضمن في القول، ويتحقق بقولنا شيئا ما، وثالثها: هو عمل التأثير بالقول، ويتحقق نتيجة قولنا شيئا ما؛ ومنه انتبه ديكرو إلى فعل الحجاج. أسست هذه النظرية مفهوما جديدا للحجاج يختلف عن مفهوم بيرلمان وتيتيكا، يقوم أساسا على اللغة بخلاف مفهوم بيرلمان القائم على تقنيات وأساليب في الخطاب، تكون شبه منطقية، أو شكلية، أو رياضية. وبعبارة أكثر وضوحا؛ اللغة تحمل وبصفة ذاتية جوهرية (Intrinscèque) وظيفة حجاجية، مؤشر لها في البنية اللغوية جملا وأقوالا، فهي موجودة في الظواهر الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والتداولية([١])؛ فأرسى بذلك مبدأ تداوليا فحواه: أن البعد الحجاجي سابق عن البعد الإخباري في الكلام، فكل كلام حسب هذه النظرية هو حجاجي بالقوة، قبل أن يقوم بدوره الإخباري الإعلامي، فالسمة الحجاجية منغرسة في اللغة أصالة؛ فهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وإمكاناتها الطبيعية الحجاجية، بعيدا عن المنطق الأرسطي وأحافيره الشكلية؛ وعليه فخلاصة علاقة اللغة بالحجاج من هذا المنظور الحداثي هي: "أن لا تواصل من غير حجاج، ولا حجاج من غير تواصل"؛ وذلك تجسيد لتلك الفكرة الشائعة التي مفادها "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"، كما يرى أبو بكر العزاوي([٢]).

٢- **نظرية الحجاج والتحول الوظيفي للغة من الإخبار إلى الحجاج**: اجتهد اللغويون في بحث الفروق بين هذين النمطين من المعنى، وخصّوهما بجملة من البحوث والدراسات؛ وقد خلصوا إلى أن هناك أنواعا مختلفة من المعنى الظاهر، نذكر منها المعنى الحرفي، والمعنى البنيوي، والمعنى المعجمي، والمعنى الإخباري الإعلامي، وغيرها، وأنواعا من المعنى الضمني، نذكر منها الاقتضاء، والاستلزام الدلالي، والمعنى الحجاجي، وغيرها، وقد ذهب العديد من الفلاسفة واللغويين قديما وحديثا إلى أن وظيفة اللغة هي وصف الكون والإخبار عنه، قناعة منهم أن اللغة ليست سوى مجرد نظام من الرموز توظف أساسا في نقل المعلومة الواصفة للعالم، مرجئين المعاني الأخرى إلى مراتب هامشية ثانوية، وفي المقابل كانت هناك محاولات منذ القديم تستميت في التقليل من أهمية هذا التوجه، ومحاولة إبراز محدودية الجمل والأقوال التي لها وظيفة وصفية تمثيلية للعالم، وفي هذا الإطار تندرج نظرية الحجاج، إطار يمكن أن نسمية بالدلاليات غير الإعلامية أو غير الإخبارية(La sèmantique informationnelle)، التي تعد المعنى الإخباري ثانويا وهامشيا بالنسبة للمعاني الأخرى([٣]).

وهنا يجب أن ننوّه أن البلاغيين العرب القدماء بتقسيمهم اللفظ المفيد إلى خبر وإنشاء، كانوا يسبحون في فلك هذا التيار، بل كانوا رّوادا له، فقد" توصلوا إلى وضع معايير علمية متفاوتة الدقة، مختلفة في الهوية المعرفية للتمييز بين الخبر والإنشاء، وأن آخر ما استقرت عليه البلاغة العربية في مراحل نضجها، هو التصور الذي يميز بين الأسلوبين بمعيار" القصد" ومعيار "إيجاد النسبة الخارجية"؛ وقد تمخض عن هذين المعيارين خصوصا تعريف دقيق لكل من الخبر والإنشاء، وأن الأول من هذين معيار تداولي، والثاني منهما معيار منطقي"([٤]).

فنظرية الحجاج لديكرو ومن وقبلها نظرية الأعمال اللغوية لأوستين وسيرل، ومن قبلهم البلاغيون العرب (في تفريقهم بين الخبر والإنشاء) تشكل تيارا تداوليا يعارض تيار الدلالة المنطقية القائم على تصور خطي تتابعي تراتبي للعلاقة بين التركيب والدلالة والتداول " فدراسة اللغة سواء أكانت طبيعية أم اصطناعية، ترتكز حسب

---

[١] أبو بكر العزاوي: الخطاب والحوار، ط١، الأحمدية للنشر،٢٠٠٧م، ص٠٩.

[٢] ينظر: أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج، ص١٤.

[٣] ينظر: أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، التحاجج طبيعته ومجاله ووظائفه، ط١، مطبعة النجاح، المغرب، ٢٠٠٦م، ص ٧٠-٧١.

[٤] مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة لبنان، ٢٠٠٥م، ص٨٦.

هذا التصور على مراحل ثلاث: يعنى التركيب في أولها بقواعد التوليف بين المكونات اللغوية لتحديد "نحويتها"، وتعنى الدلالة بالعلاقة بين العلامات ومراجعها، والحكم على الجملة بالصدق أو الكذب، انطلاقا من ضبط مدى استيفائها لشروط الصدق، ويعنى التداول أخيرا باستعمال الجمل في التخاطب للبحث في مدي مناسبتها للمقام، أو خروجها عن الموضوع، وتحديد العمل القولي هل تجيز ظروف التخاطب إنجازه؟ وما التأثير الذي يسعى إليه المتكلم من خلال ذلك القول"([١])؛ إذن هناك صنفان من الخطاب اللغوي يهدف أحدهما إلى نقل المعلومة كما هي دون زيادة أو نقصان بدءا بالأحداث الحقيرة إلى الأحداث الجليلة، ويدخل فيه الأخبار اليومية والنظريات العلمية، حيث يلعب فيها المرسل دور الصحفي أو الراوي، ويشترط فيه الصدق والموضوعية، مكتفيا في ذلك بنقل المعلومة الخبر إلى المتلقي لتفهم وتعلم فقط.

أما ثانيهما فيتجاوز به صاحبه الفهم إلى غاية أبعد ألا وهي إقناع المتلقي بمحتوى خطابه، ومن ثم صدقها الذي غالبا ما يترجم إلى سلوكات عملية بالفعل، أو الكف، والترك. إنهما (ديكرو وأنسكومبر) يرفضان المبدأ القائل: إن اللسان يستخدم للتواصل بالمعنى الضيق للعبارة، أي لنقل المعلومة أو الخبر. لقد بيّنا أن" اللغة حجاجية في ذاتها أي أنها لا تحمل فقط معلومات وتعبيرا، ولكنها تحتوي في نفسها، وبصرف النظر عن استعمالها في السياق على عناصر حجاجية بحتة "([٢]). فالملفوظات إذن تتضمن قضية حجاجية ليست مضافة أو دخيلة، ولكنها كامنة في اللغة بوصفها عمادا لكل دلالة، وعليه فالحجاج لم يعد نشاطا لسانيا ثانويا من بين أنشطة أخرى، ولكنه أساس المعنى عينه، وأساس تأويل الخطاب([٣])؛ ومع العوامل التداولية الخارجية تشتد الظاهرة وتتقوى. " فالحجج لا تنبني في فراغ ولا تصاغ في مجال معزول، أو سياق منفصل عن شروط تكوُّنه وسيرورته"([٤]). فاللغة تحمل بعدا حجاجيا في جميع مستوياتها، فهي عند أوزوالد ديكرو وسيلة للسجال بين الذوات البشرية، والحجاج جوهرها بصرف النظر عن استعمالاتها المختلفة([٥]).

٣- **التوجيه جوهر نظرية الحجاج في اللغة**: تجدر الإشارة هنا إلى أهم مفهوم في نظرية ديكرو وزميله الحجاجية وهو التوجيه (L'orientation)؛ إذ حصرا فيه غاية الحجاج ووظيفته، فحينما نقول لشخص ما: إن هذا الفندق مريح، وتتوفر فيه جميع وسائل الراحة، فنحن لا نريد إخباره بذلك بقدر ما ندعوه إلى زيارته، فنحن جهدنا أنفسنا في توجيهه إلى استنتاج أن إقامته بهذا الفندق سيكون لها الأثر الإيجابي عليه، ومن ثم فهي دعوة للإقامة بهذا الفندق، فالإخبارية إذن ثانوية بالنسبة للوظيفة الحجاجية([٦]).

التوجيهات الحجاجية (Orientations argumentatives) هي التي تسمح باتباع ملفوظ معين لملفوظ آخر، وتمنع متابعته بملفوظات أخرى، أي أنها ترجع نتيجة معينة دون غيرها من النتائج، التي قد تكون مصرحا بها، أو متضمنة في القول، أو قل إنها التي تتحكم في بنية منطق اللغة بناء وسيرورة، ونتيجة؛ أي من خلالها تتحدد غايات الخطاب الحجاجي التي يسعى لفرضها على المخاطب؛ ومن هذا المنطلق تتعاظم سلطة الخطاب الحجاجي

---

١ شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب منوبة تونس، ص٣٥٣.

٢ كورنيليافون راد صكوحي: الحجاج في المقام المدرسي ملاحظات حول تعليم الحجاج في المرحلة الثانية في التعليم الأساسي، تحت إشراف: فريق البحث في البلاغة والحجاج برئاسة حمادى صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، ١٥ أفريل، ٢٠٠١م، ص ٣٢.

٣ ينظر: صابر الحباشة: تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ص١٩٧.

٤ عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي،ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، عام ٢٠٠٩م.ص٩٩.

٥ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، تونس، كلية منوبة، عام ٢٠٠١م،ج١، ص ٣٨.

٦ عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٣م، ص ١٢٣.

بسده كل الطرق أمام أي حجاج مضاد؛ من شأنه أن يبطل ذلك التوجيه الحجاجي أو أن يضعفه([١]). و جملة القول أن نظريتهما تقوم على ثلاثة أسس وهي: الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج؛ المكون الحجاجي في المعنى أساسي، والمكون الإخباري ثانوي؛ عدم الفصل بين الدلاليات والتداوليات([٢]).

٤. **نماذج تطبيقية معاصرة من النثروالقرآن و الشعر**: مراعاة لحجم البحث آثرت الوقوف على نماذج مقتضبة على النحو التالي:

٤-١ النثر: بينا آنفا أن فعلي الحجاج والتوجيه(وظيفتي الحجاج والتوجيه) يحدثان بفعل تتابع وترابط الأقوال في سلسلة كلامية، يكون بعضها حججا، وبعضها الآخر نتائج، وهذه النتائج بعضها ظاهر وبعضها مستتر، وعلى المخَاطب استنتاجها لا من مضامين هذه الأقوال الإخبارية، بل اعتمادا على بنيتها اللغوية فحسب([٣])، وقد ضرب الباحثان جملة من الأمثلة منها قولنا:

- "لنخرج إلى النزهة بما أن الطقس جميل".
- أو "الطقس جميل فلنخرج للنزهة".
- يكون ق١ هو الطقس جميل، وهو الحجة.
- ويكون ق٢ فلنخرج للنزهة، وهو النتيجة.

وقد تكون النتيجة، ضمنية لكنهما يشترطان سهولة الوصول إليها، ومثال ذلك الحوار التالي:

- هل ترغب في مرافقتي لنشاهد هذا الشريط السينمائي؟
- لقد شاهدته.

فقولنا: لقد شاهدته حجة موصلة إلى نتيجة مفاده أنه لا يريد المرافقة لمشاهدة الشريط([٤]).

ويمكن أن نأخذ أمثلة أخري مثل:

- السماء صافية.
- البرد قارس.
- الجو جميل.

فعندما يتلفظ متكلم بالجملة الأولى مثلا (السماء صافية)، فهل يريد أن يخبر السامع بشيء يجهله، لاشك أن السامع يرى مثل المتكلم أن السماء صافية -إلا إذا كان أعمى- وفي مثل هذه الحال يفقد القول طبيعته الإخبارية، وبعبارة أدق وظيفته الإخبارية، وإن ظل محتفظا بمحتواه القضوي الإخباري، لكنه يتزحلق إلى درجة ثانوية هامشية، مُفسِحا المجال للمكون الدلالي الحجاجي، وهو الذي يوجهنا لاستنتاج المتواليات التالية:

- السماء صافية لنخرج إلى النزهة.
- السماء صافية لنتجول قليلا.
- لنذهب إلى الشاطئ، و هكذا.

---

[١] ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني وبنيته الأسلوبية، جدار للكتاب العالمي، إربد، ٢٠٠٨م. ص٢٤.

[٢] الحجاج في درس الفلسفة: مليكة غبار وآخرون، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د–ط، ٢٠٠٦م، ص٥٣.

[٣] ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني وبنيته الأسلوبية، ج١، ص٢٣.

[٤] ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج١، ص٣٦–٣٧.

وهكذا تكشفت النتيجة المتوارية خلف المكون الدلالي الحجاجي؛ وما كان لها أن تظهر لولاه، فهو الذي يتحكم في قوانين اشتغال الأقوال داخل الخطاب، وما قيل عن هذا المثال يقال عن المثالين الآخرين([1]).

٤-٢ **القرآن**: لنرتق إلى مثال قرآني، ولتكن آيات مطلع سورة الأعلى، وهي قوله تعالى:﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى؛ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى؛ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى؛ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى؛ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾([2]). يريد الله عز وجل أن يقنع بها المخَاطبين(عباده) ويدفهم للعمل بها، ويقتضي هذا الاستدلال حتى يكون مقنعا وللعمل دافعا، إيراد الحجج القولية المفضية إليها؛ فكانت الآيات الأربع الموالية: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى؛ إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى؛ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى؛ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾. فهذه الحجج وحجج أخرى مبثوثة في السورة، يمكن استنباطها عند التدقيق؛ كلها تخدم نتيجة واحدة، وهي تسبيحه سبحانه وتعالى، وليس التسبيح سوى تنزيهه عن الشريك، وإفراده بالعبادة، فمن خلال المقطع الأول من السورة نكتشف تلك الشبكة الحجاجية القائمة بين النتيجة وثلاث حجج تلتها، كلها تسير في اتجاه واحد يخدم النتيجة ويقويها، ويمكن صياغة علاقات هذه الشبكة بأساليب أخري، تتبرج من خلالها الروابط الحجاجية، وبصور مختلفة على النحو التالي: سبح اسم ربك الأعلى لأنه هو الذي خلق فسوى، وقدر فهدى...؛ بما أن ربك هو الذي خلق فسوّى، وقدر فهدي...إذن فسبحه؛ إن ربك خلق فسوى، و قدر فهدى، فسبحه([3]).

٤-٣ **الشعر**: يمكن التدليل لوظيفة الشعر الحجاجية اعتمادا على حجج تتجاوز مفهوم الحجاج وقضاياه النظرية، إنها الحجج الواقعية، إنها آثاره وأفعاله في المتلقي، وهي كثيرة وفيرة في كتب الشعر، وتاريخ الأدب، سوف نورد بعضا منها: قال الجاحظ: "ومن قدر الشعر وموقعه في النفع والضر أن ليلى بنت النضر بن حارث بن كِلدة لما عرضت للنبي - ﷺ - وهو يطوف بالبيت، واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف مِنكبه، وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها، قال رسول الله - ﷺ -: "لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته". والشعر هو:

أَمُحَمَّدٌ هَا أَنْتَ ضِنْءُ نَجِيبةٍ ... فِي قَوْمِهَا والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ وربّما ... مَنَّ الفتى وهو المَغِيظ المُحْنِقُ
فالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَا تَرَكْتَ قَرَابَةً ... وأَحَقُّهُم إن كان عِتْقٌ يُعْتَقُ([4])

وقال أيضا: "تزوج شيخ من الأعراب جارية من رهطه، وطمع أن تلد له غلاما، فولدت له جارية؛ فهجرها وهجر منزلها، وصار يأوي إلى غير بيتها، فمر بخِبائها بعد حَوْلٍ، وإذا هي تُرَقِّص بُنَيَّتَهَا منه، وهي تقول:

ما لأبي حمزةَ لا يأتينَـا ... يَظَّلُ في البيتِ الذي يلينَا
غضبانَ أن لا نلدَ البنينَا ... تاللهِ ما ذاكَ بأيدينَا
وإنما نأخذُ ما أُعْطِينَا

---

[1] أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، ص٧٤.

[2] سورة الأعلى، الآيات ١-٥.

[3] ينظر: أبو بكر العزاوي : الخطاب والحجاج، ط١، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء،٢٠٠٧م، ص١٨-١٩.

[4] الجاحظ : البيان والتبيين،ط٧، تحقيق وشرح: مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م،ج٤، ص ٤٣ – ٤٤.

فلمّا سمع الأبيات؛ مرَّ الشيخ نحوهما حضرا حتى ولج عليهما الخِباء، وقبَّل بُنَيَّتَهاَ، وقال: ظلمتكما ورب الكعبة"([1]). فمفاد الخبر الأول أن النضر بن حارث وقع في أسر المسلمين عام فتح مكة، وكان من أشدّ الناس عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين، هو ومجموعة من الشعراء والمغنيات، وكان - ﷺ - قد أوصى الفاتحين بقتلهم، وإن وجدوهم مُعَلَّقِين بأستار الكعبة، فلما جيء به أمر - ﷺ – بقتله؛ فجاءت ابنته ليلى فاعترضته وهو يطوف بالكعبة، وأنشدته تلك الأبيات، فَرَقَّ لحالها، وتأثر لدرجة أنه لو سمع هذا الشعر قبل تنفيذ الحكم لعفا عنه. أما الخبر الثاني فقد أورده الجاحظ بكل ملابساته التداولية حتى تبرز فيه الوظيفة الحجاجية وبقوّة، وبطله شيخ أعرابي تزوج جارية من قومه راجيا أن يرزق منها بولد ذكر يكون عقبا له من بعده، فلم تتحقق الأمنية، ورزق بنية فغضب وهجر بيت الزوجية، وبعد سنة كاملة يمر بجوار خبائها ويتلقى قدرا تلك الأبيات الشعرية، فأثرت فيه ودفعته إلى ارتكاب مجموعة من الأفعال، وهي دخول الخِباء، وتقبيل البنت، والاعتذار لهما.

وعلى هذا المنوال تتواتر الأخبار في المصادر العربية كاشفة سلطة الشعر ووظيفته الحجاجية، التي كانت حكرا على الخطابة، ومقالات الفلاسفة، وعلماء الكلام "ومبرزة قدرته العجيبة على تغيير الواقع وتوجيه المتلقي نحو غاية رسمها الشاعر بالصورة واللغة والإيقاع"([2]).

5- **خاتمة البحث**: الحجاج في اللغة نظرية غربية حديثة؛ ظهرت على يد الألسني الفرنسي "أوزوالد ديكرو" في الربع الأخير من القرن العشرين، وقد وفدت على حقل الدراسات اللغوية العربية الحديثة عبر التتلمذ والترجمة، وكانت البدايات محتشمة ممثلة في مقالات متفرقة هنا وهناك لا يُؤبه لها، ولكن مع مطلع القرن الحادي والعشرين حمِيَ البحث في هذا المجال، وظهرت دراسات متنوعة وجادّة؛ منها المقالات العلمية، والأطاريح الأكاديمية، والكتب؛ تبشر بالنظرية وتنظر لها في الدرس العربي.

٦- **مكتبة البحث**:

١. القرآن الكريم برواية حفص عن نافع.

٢. جاك موشلار- آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: عز الدين المجدوب وآخرون، مراجعة: خالد ميلاد، ط٢، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م، ج١.

٣. محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية، ط١، دار الثقافة، المغرب، ٢٠٠٥م.

٤. أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج، ط١، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.

٥. آليات الحجاج والتواصل في ضوء النظرية التداولية: رتيبة محمدة بولدواني، مجلة مقاربات، دورية محكمة تهتم بالبحث العلمي، العدد الثاني عشر، فاس، المغرب ،المجلد السادس ٢٠١٣م.

٦. أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، مقال ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجاله ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، ط١، مطبعة النجاح الحديدة، الدار البيضاء ، المغرب، ٢٠٠٦م.

٧. مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

[1] أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين ،ج٤، ص ٧٢.

[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه ، ٧٤.

٨. شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، مقال ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة تونس.

٩. صابر الحباشة: تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ط١، الدار المتوسطية للنشر تونس، ٢٠٠٧م.

١٠. كورنيليافون راد صكوحي: الحجاج في المقام المدرسي ملاحظات حول تعليم الحجاج في المرحلة الثانية في التعليم الأساسي، تحت إشراف: فريق البحث برئاسة حمادى صمود، كلية الآداب، تونس، ٢٠٠١م.

١١. عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي،ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، عام ٢٠٠٩م.

١٢. عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، تونس، ٢٠٠١م،ج١.

١٣. عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،ط١، الجزائر، ٢٠٠٣م.

١٤. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني وبنيته الأسلوبية، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، جدار للكتاب العالمي، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٨م.ج١.

١٥. الحجاج في درس الفلسفة: مليكة غبار وآخرون، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د-ط، ٢٠٠٦م.

١٦. سامية الدريدي: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني وبنيته الأسلوبية، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط١، عام ٢٠٠٨م.ج١.

١٧. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين،ط٧، تحقيق وشرح: محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م،ج٤

١٨. أبو بكر العزاوي : الخطاب والحجاج، ط١، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء،٢٠٠٧م.

١٩. شرح المعلقات السبع: أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزَّوْزَنِي (ت ٤٨٦هـ)، تقديم: عبد الرحمن المصطاوي، ط٢، دار المعرفة ، بيروت لبنان، ٢٠٠٤م .